Ghada Mohamed Rachad

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة
كلية الآداب

مجلة
كلية الآداب

الجزء الأول

المجلد الثامن والثلاثون
١٩٩٠

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالشاطبي
وترجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية الى
كلية الآداب

الشئون الفنية - وحدة الأوفست
كلية الآداب

مجلة سنوية محكمة تصدر أو اكتوبر

هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد خميس الزوكه

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عبده علي ابراهيم الراجحي

الأستاذ الدكتور نادية يشاى

الأستاذ الدكتور نادية محمود عبدالله

الأستاذ الدكتور محمد مرسى الشيخ

الأستاذ الدكتور فتحي محمد أحمد ابو عياته

الأستاذ الدكتور على عبد المعطى

الأستاذ الدكتور محمد أحمد بيومي

الاستاذ الدكتور عزيزة سعيد محمود

الاستاذ الاستاذ محمد عبده محجوب

سكرتارية التحرير والتحكيم

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان موافى

الأستاذ الدكتور أحمد محمد عبد الخالق

السيد / شمس الدين ابراهيم الكناني

المشرف على المكتبات

توجه المراسلات والأبحاث إلى

الأستاذ الدكتور وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث - كلية الآداب - الشاطبى -

ب ٤٠٤ ع

هاتف ٤٩٢٥٧٢٧ - ٤٩٢٥٧٣٥

تلكس 54467 UNIVY UN

فهرس الجزء الأول

م	عنوان البحث	اسم الدكتور	القسم	رقم الصفحة
	النون بين علم التجويد وعلم التشكيل	محمود عبدالله جبر	اللغة العربية	٣
	الفكر الصوتي عند الفارابي	محمود فراج عبد الحافظ	اللغة العربية	٢٧
	العلاء بن مغيث الجزامي الثائر على دولة بني أمية في الأندلس	السيد عبد العزيز سالم	التاريخ	٦٩
	المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الاسكندرية	أحمد أمين سليم	التاريخ	٧٩
	المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية	حسن عبد الوهاب حسين	التاريخ	١١٩
	اللبائل اليمنية في الاسكندرية والبحيرة	سحر السيد عبد العزيز	التاريخ	١٤٧
	الأبنية الصحراوية في بادية الشام	محمود ابراهيم حسين	التاريخ	١٩٣
	الأقواس التسعة من خلال مقابر الاسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة	محمد علي سعدالله	التاريخ	٢٢٣
	المراسلات المتبادلة بين بابوات روما وسلاطين مصر من بني ايوب	حسين محمد عطية	التاريخ	٢٥٣
١	التحليل الرمزي لبعض الظواهر الجيومورفولوجية في انشاء الخريطة الكنتورية بالحاسب الآلي	أحمد أحمد مصطفى	الجغرافيا	٣٢٥
١	نظم البيانات الجغرافية المكانية باستخدام الحاسب الآلي	أحمد أحمد مصطفى	الجغرافيا	٣٤٥

فهرس الجزء الثانى

رقم مسلسل	عنوان البحث	اسم الدكتور	القسم	رقم الصفحة
١٢	التحليل الجغرافى لشبكة الطرق فى منطقة الرياض	محمد الفتحى بكير	الجغرافيا	٤١٥
١٣	قرية السباعة دراسة فى جغرافية التنمية الريفية	عيسى على ابراهيم	الجغرافيا	٤٧٣
١٤	المراكز الصناعية فى مصر	محمد ابراهيم رمضان	الجغرافيا	٥١٥
١٥	الوساوس القهرية وعلاقاتها بكل من القلق والمخاوف والإكتئاب	أحمد محمد عبد الخالق مايسة أحمد النيال	علم النفس	٥٤٣
١٦	منهج دراسة الحالة فى علم النفس والعلوم المتصلة به	عبد الفتاح محمد دويدار	علم النفس	٥٧٧
١٧	الحكايات الشعبية	فاروق أحمد مصطفى	الانثروبولوجيا	٦١٩
١٨	وثائق قبطية من مصر.. العصر البطلمى والرومانى	فادية أبو بكر	الآثار والدراسات اليونانية والرومانية	٦٩١
١٩	ثيوفراستوس ونباتات شبه الجزيرة العربية	سهير زكى بسيونى	الآثار والدراسات اليونانية والرومانية	٧٢١

قسم
اللغة العربية

النـــون
بين علم التجويد
وعلم التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)

دكتور
محمد عبد الله جبر

علم الأصوات اللغوية هو العلم الذى يدرس الصوت الانسانى فى نشاطه اللغوى[1] ، فيحلل السلسلة الكلامية الى العناصر التى يمكن تجريدها . ثم يقدم وصفاً للطريقة التى يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر ، والخصائص المميزة لكل عنصر ، ويصنّف العناصر جميعاً على أسس معيّنة[2] ؛ فتصنف الأصوات إلى : مهموسة ومجهورة ، وتدرس الأصوات بحسب طريقة النطق ، ثم بحسب موضع النطق ، وتُبيِّن الخصائص التى تلحق الصوت نتيجة لاتصاله بغيره فى الكلمة وفى الكلام[3] .

وهذا التعبير العربى الذى شاع استعماله حديثاً « علم الأصوات اللغوية » يضم مجالين من الدرس هما : إنتاج الأصوات المنطوقة Phonetics ، والتشكيل الصوتى Phonology فالأول يتناول وصف الخطوات والأوضاع التى تتخذها أعضاء النطق لدى الإنسان لإنتاج كل صوت لغوى . والآخر يتناول وصف كيفية ائتلاف كل مجموعة من أصوات اللغة وما يطرأ على بعضها من تعديل فى كيفية صدوره وما يصحب ذلك من مميزات إضافية .

وهذا العلم يدرس أصوات اللغات جميعاً ، ويقدم وصف ما فى كل لغة من أصوات خاصة بها ، ويفصل فى ذكر الخصائص المشار اليها آنفاً .

وعلم التجويد يلتقى فى مجموعه مع علم الأصوات اللغوية ، ولكنه يختص بدراسة أصوات اللغة العربية متحققة فى تلاوة القرآن ؛ ذلك لأن التجويد بمفهومه الذى يتبادر عند إطلاقه ينصب على الأداء القرآنى . والقرآن عربىّ اللغة ، فأصوات العربية فى تلاوة القرآن هى موضوع الدرس فى علم التجويد .

والتجويد فى الاصطلاح إعطاء الحروف (= الأصوات) حقها من الصفات اللازمة لها ، ومستحقها من الأحكام التى تنشأ عن تلك الصفات ، فإن للحرف (= الصوت) حالتين : حالة الانفراد ، وحالة التركيب : وله فى

(١ ، ٢ ، ٣) د. محمود السعران : علم اللغة : مقدمة للقارئ العربى . دار المعارف . الإسكندرية ١٩٦٢ ، ص ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٧

كل منها أحكام ؛ فأول أحكامه منفرداً : تحديد مخرجه ، ثم تحقيق الصفات اللازمة له كالهمس والجهر .. وعندما يتركب مع غيره تنشأ أحكام الترقيق والتفخيم ، والإظهار والإدغام ...

والغاية من علم التجويد إتقان قراءة القرآن بالنطق بحروفه (= أصواته) مكتملة الأحكام والصفات ومحققة المخارج ... وحينئذ يكون القارئ قد قرأ القرآن على الطريقة النبوية واللهجة العربية الفصحى التي أنزل بها[٤] .

وعلم التجويد يدرس مخارج الحروف (= مواضع نطق الأصوات العربية) ثم صفات الحروف (= خصائص الأصوات العربية) ، ثم أحكام بعض الحروف (= خصائص بعض الأصوات) كالراء واللام والهمزة ، وأطوال كل صوت من أصوات المد بحسب السياق الذي يقع فيه ، ثم يدرس كذلك أحكام النون الساكنة والتنوين ، وأحكام الميم الساكنة . وهذه الجوانب المذكورة آخراً ، أعني أحكام المدّ وأحكام النون والميم الساكنتين ، أهم ما يعتني به علم التجويد مما يدخل ضمن التشكيل الصوتي Phonology .

ولاشك في أن جهود علماء التجويد تمثل الحرص المخلص على حفظ الصورة المتحققة لتلاوة القرآن ، ولاشك أن الدافع الديني هو أساس هذا الالتزام الدقيق طوال القرون التي بدأت بنزول الوحي .

وعلم التجويد يعتمد على ماقدمه علماء العربية القدامى من دراسة لأصوات اللغة العربية ، ويطبق نتائج تلك الدراسة على الأداء القرآني ، فيضيف إلى مائل المادة النظرية المبثوثة في كتب النحو والصرف - من مثل الكتاب لسيبويه ، وسر صناعة الإعراب لابن جني - الجانب العملي الذي يتمثل في تلقين الأستاذ لتلامذته كيفية التلاوة ، وبيانه لها بياناً عملياً ، ولفت انتباههم إلى طريقة نطق الأصوات ، ثم استماعه إلى كل واحد منهم وهو يحاكي أداءه ، وتصحيحه لما قد يكون في هذا الأداء من نقص في الدقة والإتقان ، وهذا ما يُعرف بالتلقي والعرض على الشيخ .

---

(٤) الشيخ أبو عاصم عبد العزيز عبد الفتاح القاري : قواعد التجويد ، دار المدينة ، ١٤٠٤ هـ ص ٢٤

وقد درج المختصون بهذا الفن على ذلك حتى يومنا هذا . وحظي علم التجويد من كثير من العلماء مؤلفات تعرض مسائله ، تفاوتت أحجامها بحسب الغرض منها ، وبحسب من تُوجَّه إليه ، فكان منها المطوّل والشرح ، وكان منها المنظوم وغير المنظوم ، ومنها ماهو مخصص للصغار وماهو لغيرهم ، غير أن المادة في معظمها وفي أغلب الأحوال ظلت ثابتة دون إضافات إلا ماقد يجد المؤلف أنه في حاجة إلى شيء من زيادة التوضيح . ونظراً إلى أن المادة الصوتية التي قدمها علماء العربية قد توقفت عند حدّ معيّن فإن كتابات علماء التجويد قد انحصرت في حدود تلك المادة .

وقد شعر بعض العلماء المشتغلين بهذا الفن في أيامنا هذه بأن « الأمر يحتاج الى مزيد من الدراسات الدقيقة ، والجهود المخلصة ، والإمكانيات والوسائل الحديثة لتستخدم في هذه الدراسات »[5] . بل لقد قيل في شأن علم التجويد إن « المعاصرين كثيراً مايخطئون فيه ، وكذا أهل الأداء ، ومن انتسب اليهم ، فان العناية اليوم بالتحقيق ضعيفة خاصة في هذا الميدان حتى صار من الصعب الوثوق بمجوّد يقرّر حكماً حتى يثبت مرجعه واتصال سنده »[6] .

وقد أشرت آنفاً إلى أن أهم الظاهرات الصوتية التي تحظى بعناية فائقة في علم التجويد ما أُطلق عليه في كتب هذا العلم « أحكام النون الساكنة والتنوين » و« أحكام الميم الساكنة » ، وأظنني لا أبعد عن الصواب إذا قلت إن علم التجويد يقوم على درس صوتي عام ودرس خاص لصوتي النون والميم وتنوعاتهما Allophones في السياقات الصوتية المختلفة ، ثم تفصيل لمقادير المدّ لأصوات العلة الطوال في سياقات مختلفة كذلك

ولقد دفعني إلى أن أتناول بالبحث موضوع النون بين علم التجويد وعلم التشكيل الصوتي Phonology مالاحظته في الأعوام الخمسة الأخيرة من اختلاف أداء قراء القرآن لهذا الصوت في بعض تشكيلاته ، وبصفة خاصة ماأسماه علماء التجويد بالقلب وبالإخفاء ، ثم مانسمعه من خلال مناقشة بعض دارسي التجويد ومعلّميه من أنهم يفهمون الإخفاء فهماً لفظياً يبعد به عن معناه العلمي ، وما

---

[5] انظر المقدمة ص د .

عانيته من غموض تعريفه الاصطلاحي في الكتب التراثية من حيث المادة والعرض والصياغة ، بالإضافة إلى القصور البالغ في تناول هذا الموضوع ، وملاحظته من وجود اختلاف بين أداء القراء الحاليين وأداء القراء الكبار منذ خمس وعشرين سنة فما فوقها ؛ بل إن الاختلاف ملحوظ بين أداء القارئ الواحد في نحو تلك الفترة التي أشرت إليها وأدائه في الوقت الحالي ، وبين أدائه فيما يُعرف « بالترتيل » وأدائه فيما يُعرف « بالتجويد » فيما يخصّ ذلك الصوت اللغوي(*) .

الوصف الصوتي للنون :

حدد سيبويه موضع نطق النون في حديثه عن مخارج الحروف قال : « ومن طرف اللسان بينه وبين مافُوَيْق الثنايا مُخرج النون »(٧) . وذكر أهم خصائص النون في موضع آخر . قال : « ومنها – أي الحروف – حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غُنّة من الأنف ؛ فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يَجْرِ معه الصوت ، وهو النون ، وكذلك الميم »(٨) وأشار في موضع آخر إلى وجود الغنة مع النون والميم(٩) .

ونجد مثل هذا لدى الرضي ولكن بصورة أوضح ، قال : « والحق أن

(*) يمكن ملاحظة ذلك بمقارنة تسجيلات القراء : محمد رفعت – عبد العظيم زاهر – عبد الفتاح الشعشاعي – منصور الشامي الدمنهوري – محمد فريد السنباوي – علي حريز – عبد الرحمن الفروي – كامل يوسف البهتيمي ، وكل هؤلاء من كبار القراء المصريين وقد توفي معظم أعوام عديدة ، بتسجيلات بعض القراء الحاليين من مثل : أحمد نعينع – عبد العاطي مصطفى الشحات محمد أنور . ومقارنة التسجيلات التي ترجع إلى ماقبل ظهور المصحف المرتل بما بعد ظهوره لكل من : محمود خليل الحصري ، ومحمد صديق المنشاوي ومقارنة التسجيلات المجوّدة بالمرتلة للقارئ محمود علي البنا .

(٧) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ ط بولاق

(٨) السابق : ٢/٤٠٦

(٩) السابق ٢/٤٠٥

يُقال : إن للنون مخرجين : أحدهما فى الفم ، والآخر فى الخيشوم ؛ إذ لابُدَّ فيها من الغُنَّة »[١٠] .

هذا الوصف الذى قرّره لغويو العربية القدامى تجده هو نفسه عند علماء التجويد ، فهم يحددون موضع نطق النون بأنه « طرف اللسان مع التصاقه بأصول الثنايا العليا »[١١] ويضيفون الى ذلك « صفة » راجعة إلى مخرج آخر للنون وتشاركها فيه الميم ، هذه الصفة هى « الغُنَّة » ومخرجها الخيشوم ، وهى صفة لازمة للنون وللميم ؛ تحركتا أو سكنتا ، ظاهرتين أو مخفاتين أو مدغمتين »[١٢] .

ولايبعد هذا الوصف عما نجده فى كتب الدرس الصوتى الحديث من وصف النون ؛ فالنون : صامت مجهور لثوى أنفى Voiced alveolar nasal consonant[١٣] وهذا يمثل الوصف العام لفونيم النون الرئيسى .

تنوعات النون Allophones .

أما وصف تنوعات صوت النون فى السياقات المختلفة أى الصور التى يتشكل بها حين يجاور أصواتاً لغوية بأعيانها فإننا نجد شيئاً من ذلك لدى علماء اللغة العربية – وخصوصا فى كتب الصرف – إذ ترد إشارة الى « الحروف التى هى فروع وأصلها من التسعة والعشرين حرفا التى هى أصوات العربية ، وهذه الحروف الفروع كثيرة يؤخذ بها وتُستحسَن فى قراءة القرآن والأشعار » ويُذكر من بينها « النون الخفية وهى التى تليها أصوات الفم »[١٤] .

---

(١٠) الرضى : شرح الشافية تحقيق نور الحسن وزميليه – التجارية ١٩٣٩ جـ ٣/ص٢٧٢ .

(١١) عبد العزيز بن عبد الفتاح القارى : قواعد التجويد ص ٣٣ .

(١٢) مُلا على القارى : المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ط الحلبى ١٩٤٨ ص ٤٤ .

(١٣) مالمبرج : علم الأصوات تعريب د. عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٦ ص ١٢٣ ، د.أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوى الطبعة الأولى ١٩٧٦ ص ٢٧٠ Daniel Jones An outline of English Phonetics, Cambridge University Press, 1980, p.169.

(١٤) سيبويه ٢/٤٠٤ ، الرضى شرح الشافية ٣/٢٥٤

وترد إشارة أخرى إلى إبدال النون أو قلبها ميماً « والميم تكون بدلاً من النون في عنبر وشماء إذ شكّيتُ وبعدها باء »[15].

وتُذكر صورة ثالثة هي حالة الإدغام إذ تلاها صوت من الأصوات الآتية : الراء ، واللام ، والواو ، والياء ويكون إدغام النون في هذه الأصوات بغُنّة أو بغير غُنّة[16].

وتدغم في الميم بعد أن تقلب النون ميماً ، وتدغم النون مثلها ، ولا تفك الغنة حينئذ بالطبع . وإن وجدت بضع كلمات لم تُدغم فيها النون في الواو أو الياء أو الميم من أجل أمن اللبس كما في : صِنْوان ، بُنْيان ، زُنْماء[17].

والصورة الرابعة في واقع الأمر تمثل الصورة الأساسية لفونيم النون « وتكون مع الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء بينة ، موضعها من الفم »[18].

هذه التنوعات الأربعة Allophones التي يتحقق فيها صوت النون تبعاً للسياقات المختلفة التي يرد فيها تناولها علماء التجويد بالشرح والبسط ، وأفردوا لها في كتبهم باباً خاصاً هو أحكام النون الساكنة والتنوين ، ويتضح فيما كتبوا أنهم عالجوا المادة الصوتية المتحققة في الواقع العملي علاجاً لغوياً مماثلاً لما قدّمه اللغويون الأوائل ، وربّما كان مرد هذا التماثل إلى أن المشهورين من القراء كانوا علماء بالعربية ، وأن اللغويين الأوائل كانوا على معرفة جيدة بالأداء القرآني ؛ فمن الفريق الأول : أبو عمرو بن العلاء ، والكسائي ، ومن الفريق الآخر : أبو الأسود الدؤلي ، وأبو علي الفارسي ، وأبو الفتح ابن جني .

لذلك وجدنا كتابات علماء التجويد تناول تلك التقسيمات الأربعة التي تمثل تنوّعات صوت النون بما يشبه شبهاً قوياً تناول كتب علماء العربية للظاهرة نفسها واستخدم فيها معظم المصطلحات التي وردت لدى علماء العربية :

(١٥) سيبويه : ٢/٣١٤ ، ٤١٢ ، ٤٢٧ ، شرح الشافية للرضي ٣/٢١٥ ، ٢١٦

(١٦) سيبويه ٢/٤١٤ .

(١٧) سيبويه : ٢/٤١٥ ، تقابل « صِنْوان » من ٢٠ ، « زُنْماء » ٢١

(١٨) سيبويه : ٢/٤١٥ .

الإدغام ، والقلب ، والإخفاء . ولعل مصطلح الإظهار وحده من استعمال علماء التجويد خاصة ليحلّ محلّ مصطلح « البيان » الذى نجده عند سيبويه[١٩] ، ولعله قد رُوعى فيه أن يكون مقابلاً للإخفاء .

النون الساكنة والتنوين عند علماء التجويد

كتب التجويد - على وجه الإجمال - لاتقدم تعريفاً واضحاً لكل مصطلح من المصطلحات الأربعة المذكورة آنفاً : الإظهار - الإدغام - القلب - الإخفاء ، ولعلّ ذلك يرجع إلى أن المؤلفين قد اعتمدوا على أنّ قراء كتبهم يدركون المقصود بتلك المصطلحات الفنية بصورة ما .

١ - الاظهار :

الإظهار عند علماء التجويد : « إخراج الحرف من مخرجه بغير غُنَّة (؟) ، أى النطق بالنون وتحقيقها من مخرجها وبحرف الإظهار من مخرجه (؟) مع الفصل بينهما وإيضاح كل منهما مع الاحتراس من الغُنَّة فى النون (؟) »[٢٠] . فتجنب الغُنَّة فى هذا التعريف أمر مستغرب ، ولكن يمكن تفسيره بأن المقصود بالغُنَّة التى يُحترس منها ههنا إنما هو إطالة زمن الرنين الأنفى المصاحب لنطق النون[٢١] .

وقد اخترت هذا التعريف من بين تعريفات كتب التجويد لما فيه من زيادة وتفصيل بالنص على « النطق بالنون وتحقيقها من مخرجها (= طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا) وبحرف الإظهار (= الصوت التالى للنون وهو من أصوات الحلق الستة) مع الفصل بينهما » (وهذا هو الجديد فى تعريف الإظهار لدى كتب التجويد) .

---

(١٩) سيبويه : ٤١٥/٢ .

(٢٠) عبد العزيز عبد الفتاح القارى . قواعد التجويد ص ٦٠ .

(٢١) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية مكتبة الأنجلو ط ١٩٨٧ ص ٧٣

٢ - الإدغام :

والإدغام عندهم هو « إدخال حرف الأول في حرف ثان حيث يصيران حرفاً واحداً مشدَّداً »[٢٢] . أو هو « نطق بالحرفين كالثاني مشدَّداً »[٢٣] .

والتعريفان في رأيي يفتقران إلى الدقة ؛ فالإدغام ليس إدخال صوت في صوت ، وليس نطق صوتين ، وإنما هو إطالة الزمن الذي يستغرقه نطق صوت بعينه مصحوباً بالغنة أو غير مصحوب بها وهو في معظم الأحوال الصوت التالي للنون فهو الراء أو اللام بغير الغنة ، والواو أو الياء مع الغنة ، ثم هو الميم ولانفارقها الغنة طبعاً ، أمّا نطق نونين متواليتين فهو كذلك امتداد زمني أو مضاعفة ، وهذا الأخير يمكن أن أخصه بالتضعيف Gemination دون الإدغام Incorporation ، إذ الادغام في رأيي يتميز أن موضع النطق فيه انما هو موضع نطق الصوت التالي للنون ، والتضعيف إنما هو نطق النون من موضعه في زمن أطول[٢٤] ، ويندرج هذا تحت ماسمّاه علماء التجويد إدغام المتماثلين[٢٥] .

وقد ميز علماء التجويد صورتين من الإدغام :

أ - إدغام كامل بغير غُنّة ؛ وهذا يتحقق إذا وَلِيَ النون صوت الراء أو صوت اللام ، وهذا يعني نطق كل صوت منهما من موضعه في زمن أطول من زمن نطقه في غير حالة الإدغام ، دون أن يصحب نطقه رنين أنفي ، أي أن سقف الحنك اللين يكون مرتفعاً فلا يمر الهواء داخل تجويف الأنف = الخيشوم .

ب - إدغام ناقص أي مصحوب بغنّة ، وهذا يتحقق إذا تلا النون صوت الواو أو الياء (في غير الكلمات المستثناة) ، وفي هذه الحالة ينطق الواو أو الياء وقد انخفض سقف الحنك اللين بحيث يسمح بمرور جانب من تيار

---

(٢٢) عبد العزيز القارئ : قواعد التجويد ص ٦١ .

(٢٣) د. علي محمد توفيق سماحة : الوجيز في أحكام تلاوة كتاب العزيز - مكتبة الآداب ص ٢٠ .

(٢٤) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٢٢

(٢٥) عبد العزيز القارئ : قواعد التجويد ص ٦٢

الهواء فى تجويف الأنف فيسمع الرنين الأنفى مصاحباً لصدور صوت الواو أو الياء[٢٦] . وقد عبر د. إبراهيم أنيس عن ذلك بأن الصوت الصادر حينئذ هو « ياء أنفية ، أو واو أنفية »[٢٧] ، ورمز لها د. محمود السعران بهذين الرمزين ỹ ، w̃[٢٨]

وأدرج علماء التجويد تحت الإدغام الناقص حالة ورود صوت الميم تالياً لصوت النون ، ولابد من إيضاح حدوث أمرين :
الأول : هو عدم نطق صوت النون من موضعه المحدَّد .
الثانى : هو عمل الشفتين المنوط بهما صوت الميم ؛ بأن يحدث إغلاق تام للشفتين مع هبوط سقف الحنك اللين ومرور تيار الهواء فى تجويف الأنف ، وهذا يكون صوت الميم ، ويُلحظ مع هذا إطالة زمن النطق .
فكأن الأمر تضمَّن قلباً للنون إلى ميم أو إبدالاً ، ثم تضعيفاً للميم .

ولاينفك الرنين الصادر من التجويف الأنفى من هذا الصوت .

والملاحظ أنه لم يرد فى العربية فى كلمة واحدة نون ساكنة بعدها لام أو راء . وأنه إذا ورد فى كلمة واحدة نون ساكنة بعدها واو أو ياء لم تطبَّق قاعدة الإدغام . وفى بعض الكلمات التى التقى فيها نون ساكنة بعدها ميم طبقت قاعدة الإدغام كما فى صيغة « انفعل » من م ح و ، ومن م ى ر ، وأظهرت النون فيما سواها ، كالتى : عنوان ، ألوال ، أنْوار ، أنْور ، بِنْوال ، صِنْوان ، قِنْوان ، دُنْيا ، بُنْيان ، أنمار ، أنماط ، زُنْماء ، زُنْم .

٣ – القلب

القلب عند علماء التجويد مصطلح خاص بحالة واحدة ، ويطلقون عليه فى بعض الأحيان الإقلاب . ويتناوله علماء الصرف ضمن الإبدال . وهذه الحالة

(٢٦) ابن القاصح : سراج القارئ المبتدى ط مصطفى فهمى ١٣٢١ هـ القاهرة ص ٩٨
(٢٧) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٧٢
(٢٨) د. محمود السعران : رسالة دكتوراه بالآلة الكاتبة ص ٨٢ Critical Study قدمت إلى معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن يونية ١٩٥١ ؛

تتمثل في أن يلي النون باء ، فتُقلب النون حينئذ « ميما » خالصة من غير إدغام ، ولابد من إظهار الغُنّة مع ذلك ، فيصير في الحقيقة إخفاءً للميم المقلوبة »[٢٩] . وهذا يتضمن عدة خطوات :

الأولى : عدم نطق النون من موضعها .

الثانية : إغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً مع هبوط سقف الحنك اللين ، ومرور تيار الهواء من تجويف الأنف ، وهذا ينتج الميم بما يميزها من غُنّة .

الثالثة : استمرار إغلاق الشفتين مع ارتفاع سقف الحنك اللين ، وهذا استعداد لانتاج صوت الباء فور إزالة إغلاق الشفتين واندفاع تيار الهواء من تجويف الفم إلى الخارج .

والخطوتان الثانية والثالثة تمثلان اتصالاً مستمراً لإنتاج صوتي الميم والباء وهذا يشمل القلب والإخفاء ، والمقصود بالإخفاء عدم الفصل بين مرحلتي إنتاج الميم والباء بإغلاق الشفتين ، فهاتان المرحلتان يتصل فيهما إغلاق الشفتين تماماً ، وهذا ماوجّه به والد ابن الباذش فهم الإخفاء فهو يراه « انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً »[٣٠] بل لقد سمى بعض القراء هذا الأداء إظهاراً[٣١] وهو اختلاف في العبارة ليس غير . قال ابن الباذش : « وقال لي أبو الحسن ابن شُرَيْح فيه بالاظهار ولفظ لي به فأطبق شفتيه على الحرفين إطباقاً واحداً »[٣٢] . وأشار إلى إجماع القراء على « إبدال النون والتنوين ميماً قبل الباء ... قلباً صحيحاً »[٣٣] ولكننا نجد من يحذر من إطباق الشفتين عند النطق بالميم حال إخفائها[٣٤] .

---

(٢٩) السفاقسي : غيث النفع بهامش : ابن القاصح : سراج القارئ ص ٢٩ .

(٣٠) ابن الباذش : الاقناع في القراءات السبع تحقيق عبد المجيد قطامش ط جامعة أم القرى مكة ١٤٠٣ هـ جـ ١ ص ١٨١ .

(٣١) ملا علي القاري : المنح الفكرية ص ٤٤ .

(٣٢) ابن الباذش : الإقناع جـ ١ ص ١٨٠

(٣٣) ابن الباذش : الإقناع جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٣٤) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف يتلى القرآن - دار ابن مخلوف بيروت ١٩٨٦ ص ٦٣ - ٦٤

٤ الإخفاء

هذا هو المصطلح الذى عجزت عبارات علماء التجويد عجزاً تاماً عن إيضاح المقصود منه ، فتعريفه الذى يتردد فى معظم كتبهم أنه : « حال بين الإظهار والإدغام »[٣٥] ، أو هو « النطق بالنون والتنوين بصفة بين الإظهار والإدغام ، بلا تشديد ، مع بقاء الغُنة »[٣٦] ، أو هو « إخفاء الحرف الأول فى الحرف الثانى مع بقاء صفة الغُنة »[٣٧] .

وقالوا إن الإخفاء إنما يقع للنون والتنوين قبل خمسة عشر حرفاً (= صوتاً) هى أصولات الفم واللسان[٣٨] : ت ، ث ، ج ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ف ، ك ، ثم صوت تشترك فيه الشفة السفلى مع الثنايا العليا وهو الفاء .

وقد حاول مؤلف معاصر إيضاح أداء الإخفاء بقوله : « خلطنا بعض النون(؟) فى الحرف الذى بعدها ، وأبقينا بعضها ظاهراً فى النطق (؟) وحرصنا على إظهار صفتها التى هى الغُنة ، ولذلك فإنك إذا نطقت بالنون المخفاة فإنك تنطق بها من الخيشوم ، فلا يرتفع اللسان بمخرجها ، ولا يلتصق بأصول الثنايا »[٣٩] .

وكل هذه التعريفات فى واقع الأمر لاتجدى فى تحديد معنى الإخفاء تحديداً علمياً ، فالصفة أو الحال التى بين الإظهار والإدغام ، وخلط بعض النون بما بعدها ونطق بعضها الآخر ، هذه البعضية وتلك البينية مما يوصف بأنه غير دقيق ، وليس له معيار ولاضابط .

بل إن الإخفاء الذى يشيرون إليه فيما يخص النون والتنوين فى هذه الحالة

(٣٥) ابن الجزرى : النشر ٢ : ٢٧ التجارية القاهرة – الشاذلى : غيث النفع بهامش سراج القارى ص ٢٢ ، ابن القاصح سراج القارى ص ٩٩ .

(٣٦) د. على محمد توفيق النحاس الوجيز ص ١٤ .

(٣٧) الشيخ عبد العزيز القارى قواعد التجويد ص ٦٤

(٣٨) سيبويه ٤/١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ الرضى شرح الشافية ٢٥٤/٣

(٣٩) عبد العزيز القارى قواعد التجويد ص ٦٥

الرابعة يبدو وكأنه إخفاء غير الذى يتحدثون عنه حين يذكرون إخفاء الميم المنقلبة عنهما فى الحالة الثالثة (القلب) وإخفاء الميم غير المنقلبة عنهما قبل الباء .

خلاصة ما عرضته هنا أن تعريفات تلك الأحوال عند علماء التجويد – وكذلك عند علماء الصرف – تعريفات غامضة . وأرى أن فهم مقصودهم إنما يكون بالتماسه فيما يقدمه علم التشكيل الصوتى Phonology من وصف الصور المتنوعة التى تكون عليها الأصوات اللغوية .

النون فى علم التشكيل الصوتى Phonology

يتناول علم التشكيل الصوتى وصف النظام الذى تتحقق عليه أشكال الأصوات اللغوية عندما تتجمع فى صورة مجموعة كلامية ، وهذا النظام يمثل ارتباطات من نوع معين بين الأصوات Allophones المتخارجة فى الورود فى الموقع الواحد إذا كانت تنتمى الى صوت واحد Phoneme ، وغير المتخارجة إذا كانت تنتمى الى صوتين أو أصوات مختلفة[٤٠] .

والمقصود بالأصوات المتخارجة أنه إذا وجد فى لغة واحدة صوتان متقاربان فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية ولا يتحققان مطلقاً فى إطار صوتى واحد فإنهما يُعدّان نوعين تركيبين لوحدة أصواتية واحدة[٤١] . وهذا مايعبّر عنه بمصطلح Allophone ، وهذا مايهم فى هذا البحث ؛ ففى العربية « نونات » تتحقق بأشكال متقاربة ولكنها مختلفة،ولا يحلّ شكل منها محل شكل آخر فى إطار صوتى واحد ، ولو حدث هذا قسراً – كأن تُنطق النون الساكنة قبل الباء مظهرة ولا تُقلب ميماً – لم يتغير المعنى وإن حُكم على هذا الأداء بأنه مجانب للصواب ، وكل هذه النونات ماهى إلا نوعات أو أعضاء فى عائلة صوت النون[٤٠] .

---

(٤٠) د. تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ط. دار الثقافة – الدار البيضاء ١٩٧٩ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٤١) برتيل مالمبرج : علم الأصوات تعريب د. عبد الصبور شاهين ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

بهذا التصور يمكن فهم الحالات الأربع التي رصدها علماء العربية بعامة وعلماء الصرف بخاصة وسجّلها علماء التجويد وأطلقوا عليها اسم أحكام النون الساكنة والتنوين ويمكن أن تنضم اليها حالة من حالات الميم الساكنة .

والفكرة الأساسية التي يمكن في ضوئها فهم الأحكام السابقة هي مايسمى ظاهرة المماثلة Assimilation ، وقد عرّفها بعض علماء اللغة من الأوربيين المحدثين بأنها « التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى »[٤٢] ، وعرفها آخرون بأنها « تحول الفونيمات المتخالفة الى متماثلة ؛ إمّا تماثلا جزئياً ، وإمّا تماثلا كلياً »[٤٣] .

وهذه الظاهرة تفسّر ثلاث حالات هي : الإدغام - والإخفاء - والقلب أما الإظهار فلا يحتاج في تفسيره إلى هذه الظاهرة ؛ فإن اجتماع النون الساكنة أو التنوين وأصوات الحلق لايؤدي بالضرورة إلى حدوث ظاهرة المماثلة .

ولظاهرة المماثلة أحكام عامة يمكن أن تنطبق على أية لغة على وجه الأرض[٤٤] والذي يهمّ من هذه الأحكام أن المماثلة قد تكون من حيث موضع النطق ، وقد تكون من حيث طريقة النطق[٤٥] وقد تكون من الجهتين معاً :

فالادغام التام مع صوتي الراء واللام مماثلة من الجهتين ؛ ففيه يحدث تغيُّر في موضع النطق بأن ينتقل موضع النطق للصوت المضاعف إلى موضع نطق الراء أو اللام ، فهذه مماثلة من حيث موضع النطق ، وفيه تختفي الصفة المميزة لصوت النون وهي الغنة ، فهذه مماثلة من حيث طريقة النطق .

والإدغام الناقص مع صوتي الواو والياء هو مماثلة من حيث موضع النطق ، ففيه تبقى الغنة وينتقل موضع نطق النون الى موضع نطق كل من هذين الصوتين .

---

(٤٢) Brosnahan, L.F.&Malmberg, B.: Introduction to Phonetics. Cambridge, 1970 p.132
نقلا عن : د.أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٢٤ .

(٤٣) نقلا عن : د. احمد مختار عمر : السابق ص ٢٢٤ Nida, E.A.: Morphology. p. 23

(٤٤) د.أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ٢٢٥ الحاشية ١ .

(٤٥) السابق ٢٢٥

والإدغام مع الميم مماثلة من حيث موضع النطق ، ومثله القلب قبل الباء ؛ ففيهما ينتقل موضع نطق النون الى الشفتين بإغلاقهما مع بقاء الغنة ؛ فتصير النون مماثلة للميم ويمتد زمن النطق بالميم فيصير ذلك إدغاماً ، أو تخفى الغنة بعد نطق الميم ليبدأ نطق الباء فيصير ذلك قلباً . وقد أطلق على تواصل عمليه نطق الميم ثم الباء دون إزالة إغلاق الشفتين بين الصوتين اسم « الإخفاء الشفوى للميم » قبل الباء ؛ وهذه التسمية ههنا فى واقع الأمر تحصيل حاصل أو هى زيادة فى الحرص على دقة الوصف .

أما الإخفاء الذى يُطلق عليه اسم « الإخفاء الحقيقى » فهو مماثلة من حيث موضع النطق ؛ فإن الغنة باقية ، ولكن ينتقل موضع نطق النون إلى موضع نطق الصوت التالى لها .

وقد أشار علماء التجويد الى أن للإخفاء مراتب ، وأن إخفاء النون الساكنة والتنوين على قدر قرب مخرجهما من مخرج الصوت التالى لهما[٤٦] .

فأبعد مراتب الإخفاء مع القاف والكاف ، وأقربها مع الطاء والدال والتاء ، وماعدا ذلك ففى مرتبة متوسطة مع ملاحظة أن الإخفاء مع بعض أصوات تلك المرتبة يكون أقرب منه مع غيرها[٤٧] .

وواضح من الإشارتين الأخيرتين أن موضع نطق النون المخفاة ينتقل إلى موضع نطق الصوت الذى يليها ، بل إن الأمر يتجاوز الانتقال فى موضع النطق إلى أن يصير صوت النون المخفاة وقد اكتسب صفات الصوت التالى وخصائصه ؛ فإذا تلاه صوت من الأصوات المفخمة صار صوت النون المخفاة مفخماً ، وهذه الأصوات هى : ص - ض - ط - ظ - ق[٤٨] ، ولايدخل الخاء والغين لأن النون معهما حكمه الإظهار .

وهذا الذى أذهب إليه إنما هو مثال لتحقق إحدى قواعد علم الفونولوجيا ، وهى التى تتضمن أن السواكن الفُنّاء تتخذ موضع النطق الخاص بالسواكن

(٤٦) السقاقسى : غيث النفع بهامش : سراج القارى المبتدى لابن القاصح ص ٢٣

(٤٧) الشيخ جبر سلومة : رسالة مفيد ومستفيد فى أحكام التجويد ص ١٥ الإسكندرية دون تاريخ

(٤٨) د. على محمد لولحى الصحاص الوجيز ص ١٥

التي تليها ، وهذا نوع من المماثلة ، وقد سميت هذه القاعدة « قاعدة نطق الساكن الأغنّ من موضع نطق الساكن التالي »[٤٩] وهي في العربية تنطبق على نطق النون الساكنة وحدها ، مع استثناء الحالات التي يكون فيها الصوت التالي للنون صوتاً حلقياً .[٥٠] ومع تطبيق القاعدة على معظم مواقع النون سواء أكانت في داخل الكلمة أم في نهايتها أم في صورة تنوين ، وإخراج الألفاظ المذكورة آنفاً من مثل : الدنيا - البنيان الأنوار - الصوان .

ولي الحق أن علماء العربية القدماء وعلماء التجويد كانوا يصدرون عن وعي وإدراك لصورة من فهم هذه القاعدة في تناولهم لأحكام النون الساكنة والتنوين ، ولكن جاءت تعريفاتهم اللفظية قاصرة عن أن تفي بإيضاح ملوقر في معرفهم وطبقوه أداء وتلقيناً وتدريباً لتلامذتهم .

ونتج من قصور التعريف اللفظي أنْ فهم بعض المتأخرين وبعض المعاصرين الإخفاء فهماً مخالفاً لما يعنيه المصطلح ، وقد اتضح هذا في موقفين :

الأول : مانبه اليه الشيخ البنا الدمياطي صاحب كتاب « إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر » وهو من علماء القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة (توفي عام ١١١٧ هـ .) من وجوب احترار القارئ « من إلصاق اللسان فوق الثنايا عند إخفاء النون ؛ فهو خطأ ، وطريق الخلاص منه تحاق اللسان قليلاً عند ذلك »[٥١] دون تعيين الأصوات التي يلزم معها هذا .

الثاني : ماذهب اليه بعض مدرسي التجويد المعاصرين من التحذير من إغلاق الشفتين عند النطق بالميم قبل الباء سواء أكانت الميم مقلبة عن النون أم لم تكن كذلك[٥٢] .

---

(٤٩) "Within a word, a nasal consonant assumes the same place of articulation as a following consonant."

Fromkin, V.&Rodman, R. An Introduction to Lougage, 2nd.ed Holt. Rienhart,&Winston, 1978, p.119.

(٥٠) الدمياطي : إتحاف ص ٢٠ .

(٥١) السابق ص ٢١ .

(٥٢) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف نتل القرآن ص ٦٣ - ٦٤ ، حسني شيخ عثمان : حسن التلاوة ص ١٠٥ ، الدكتور علي محمد توفيق النحاس الوجيز ص ٣٠

وقد جاء هذا - فيما أرى - من فهم بعض للإخفاء وتعريفه ، فقد ظنّ هؤلاء جميعاً أن الإخفاء يعني إبطال عمل أعضاء النطق التي تشارك في إصدار صوت النون أو الميم أعني اللسان والشفتين .

وأرى أن ما ينتج بهذه الصورة يكون أقرب إلى أصوات المدّ الغنّاء nasalized vowels منه إلى الساكن الأغن nasal consonant إذ إن مجرى الهواء من الأنف والفم يكونان بغير عائق أو تضييق في موقع معين في تجويف الفم أو الشفتين ، وهذا هو عين ماحذّر منه الشيخ البنا الدمياطي نفسه حيث قال : « يجب على القارئ أن يحترز من المدّ عند إخفاء النون في نحو : كنتم ... وكثيراً ما يتساهل في ذلك من يبالغ في الغنة فيتولد منها واو وياء فيصير اللفظ كونتم ... وهو خطأ قبيح وتحريف »[٥٣] .

والذي يصحح فهمهم ذاك ويردّ التحذيرين المذكورين قبل إلى الصواب هو فهم ظاهرة المماثلة التي تتحقق عند نطق أصوات الغنة غير المتلوة بحركة (أي : الساكنة) فقاعدة المماثلة - كما قدمت - تقوم على أن موضع نطق الصوت الأغن ينتقل الى موضع الصوت الساكن التالي له . وتشمل هذه المماثلة ماسمّاه علماء التجويد إخفاءً وإدغاماً وقلباً .

وعلى هذا أرى أن يُقيَّد الاحتراز الذي نبه عليه الشيخ الدمياطي بأنّ الحالات التي يتجافى فيها طرف اللسان عن أن يتصل بموضع نطق النون من اللثة والثنايا العليا لاتشمل الحالات التي يكون فيها الصوت التالي للنون أحد أربعة أصوات : التاء والدال ، ونظيريهما المطبقين الطاء والضاد (في صورتهما المعاصرة) إذ لابعيد عن اتصال طرف اللسان بمواضع نطق كل واحد من هذه الأصوات الأربعة حال إخفاء النون . وقد سبقت الإشارة الى أن النون المخفاة تكتسب الإطباق بتأثير الأصوات المطبقة التالية ، وبدون اتصال طرف اللسان بموضع نطق الطاء أو الضاد يتعسّر - بل يتعذر - إنتاج صوت النون المخفاة متلوّة على الفور بأحدهما ، إلا إذا تكلّف القارئ وأجهد عضلات الفك السفلي

---

(٥٣) البنا الدمياطي : الإتحاف ص ٢١

واللسان أيما إجهاد ، وليس كذلك الهدف المتوخى من المماثلة ، ولا من علم التجويد نفسه . وأزعم أن مايسمع من القراء المحدثين ليس هو الإخفاء المقصود .

وأرى كذلك أن ماذهب اليه الشيخ عامر عثمان والدكتور محمد على توفيق النجار وغيرهما من عدم إغلاق الشفتين عند نطق الميم قبل الباء لاينتج عنه قلب النون ميماً ، ولاتحقق الميم ، ولاكونها مخفاة ، أى أن إبقاء الشفتين متباعدتين يفوت كل ذلك فلا يكون ما نصّ عليه علماء العربية وعلماء التجويد مما عُرف باسم القلب أو الإبدال .

بقى أن أعرض لجهود من أمكنني الاطلاع على أعمالهم من الأساتذة المعاصرين الذين درسوا وتخصصوا فى جوانب من علم اللغة وأفادوا من المعطيات الحديثة لفروع علم اللغة الحديث ، وبخاصة علم الأصوات اللغوية ، فقدموا شيئاً من ملاحظاتهم تتعلق بالظاهرة التى تناولتها هنا .

١ – منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه « الأصوات اللغوية »[٥٤] ، وأرى أنه قد فصّل القول فى هذا الموضوع وكاد ينص على أن الإخفاء والقلب يمثلان صورتين من صور المماثلة ، فقد أشار إلى أن الإخفاء هو إطالة غنّة النون مع « ميل النون الى مخرج الصوت المجاور لها »[٥٥] ، وإلى أن القلب هو « انتقال النون من مخرجها الى مخرج الباء » ، « فاستبدل بالنون صوت نظير لها فى المخرج الجديد ... هو الميم »[٥٦] . وأما حديثه عن الإدغام فإنه لايتضح منه أنه يراه مماثلة ، ولقد كان تفسيره له حريًّا بأن يؤدى إلى تلك النتيجة ، لكنه لم يفعل[٥٧] .

٢ – والدراسة التالية لملاحظات الدكتور إبراهيم أنيس هى الدراسة القيمة التى كتبها الدكتور محمود السعران فى بحثه الذى نال به درجة الدكتوراه من

---

(٥٤) د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط٢ نشر مكتبة نهضة مصر ١٩٥٠

(٥٥) السابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥٦) السابق ، ص ١٢١

(٥٧) السابق ، ص ٦٨

جامعة لندن عام ١٩٥١ وفيها يصرّح أن الإخفاء إنما هو انتقال موضع نطق النون إلى موضع نطق الصوت التالي ، واستعمل هذه الظاهرة كلمة "homorganic" ، وقدّم اثنى عشر رمزاً كتابياً تمثل فونيمات النون المخفاة بحسب موقعيتها[٥٨] ، وانتهى كذلك إلى أن القلب يمكن أن يدخل تحت الإخفاء لصدور النون في صورة الميم عندما تليها الباء ، وأشار إلى أن بعض علماء التجويد قد استعملوا كلمة « الإخفاء » للتعبير عن « القلب أيضاً »[٥٩] لكنه لم يشر إلى ان ذلك كله صور من المماثلة ، بل إنه في تناوله لإدغام النون استخدم كلمة "incorporation" وكلمة "doubling"[٦٠] .

٣ - وتناول الأستاذ الدكتور تمّام حسان تنوعات نطق صوت النون تناولاً متفرقاً في كتابه « مناهج البحث في اللغة » (طبعته الأولى في عام ١٩٥٥) ، دون أن يربط بتفصيل وإيضاح بين التناول الصوتي الحديث وماقدمه علماء اللغة وعلماء التجويد في التراث العربي ، بل لقد كان في تقسيمه لمواقع النون بعض خلاف لما في كتبهم ؛ فقد قدم الوصف الأصواتي (الفونولوجي) لسبعة من تنوعات النون Allophones تتوزعها ظاهرة الإخفاء ، ووقع في تناوله للظاهرة بعض خلط بين الإخفاء والإدغام بغنة ، وفي التمثيل لذلك ، وفي ضم بعض الأصوات إلى بعض حيث كان الأفضل تناول كل طائفة على حدة ؛ إذ إنه ضمَّ الياء إلى الشين والجيم[٦١] ، في حين أن للنون قبل الياء تشكلا صوتياً غير مالها مع الشين والجيم . وسوّى بين صورتي النون والميم إذا تلتهما الفاء وقال إن الصوت الناتج في الحالتين « يسميه القرّاء إدغاماً

---

(٥٨) Mahmoud El-Saaran: A Critical Study of the Phonetic Observations of the Arab Grammarians. p67,84.

رسالة دكتوراه غير منشورة - قدمت إلى معهد الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٥١ . وهي محفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية برقم ٧٩ س .

(٥٩) السابق ص ٦٧ .

(٦٠) السابق ص ٦١ ، ٦٣ ، ٦٧

(٦١) د. تمام حسان : مناهج البحث في اللغة : ط ٢ دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٩٧٩ ص ١٣٤ .

بغنة »[٦٢] ، والأمر ليس كذلك ، فهم يوجبون إظهار النون قبل الفاء ، وحذروا من إخفائها ، ويسمُّون نطق النون قبل الفاء إخفاءً .

٤ وتناول هذه الظاهرة كذلك الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر بإيجاز شديد وفي عجلة أفقدت ماتناوله شيئاً من الدقة ؛ فقد تناول أحكام النون الساكنة تحت عنوان « المماثلة الكاملة (الإدغام) » : "Complete Assimilation"[٦٣] وحدَّد النون بكونها متطرفة (ومثلها التنوين)[٦٤] . ولاشك في أنه على صواب حين جعل العنوان يتضمن كلمة « المماثلة » ، ولكن تقييدها « بالكاملة » وتفسيرها « بالإدغام » لاينطبق إلا على بعض أحكامها ، وكذلك تقييده النون الساكنة بكونها « متطرفة » في غير ضرورة فإن الأحكام أو الدراسة تتناول النون الساكنة متطرفة وغير متطرفة . وفي عرضه لظاهرة الإخفاء (وهو في سطرين) عبَّر عن ذلك بأن النون « تطول ، وتميل الى مخرج الصوت الذي بعدها »[٦٥] وهذه عبارة الدكتور ابراهيم أنيس مع فارق الزمن وهو قريب من ٢٨ عاماً ، ومازال في حاجة الى تدقيق .

أما الوصف الذي قدمه الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين للأصوات العربية فهو عرض موفق جمع فيه بين الوصف الفونولوجي الحديث والتفصيل الذي قدَّمه علماء التجويد ، وخاصة في تعريف الإخفاء وتفسيره ، ففيه وضوح علمي وتحديد وبيان لكيفية أداء النون الخفية ، فالإخفاء هو نطق النون « أنفية مع وضع اللسان موضع الحرف التالي لها بشكل متزامن »[٦٦] ، ولولا أنه خصَّ « اللسان » لكان التعريف تام الدقة والكمال ؛ وقد كان يحسُن أن يقول : « مع اتخاذ أعضاء النطق الوضع الملائم لإصدار الصوت التالي » ، فإن الفاء وحدها من بين الأصوات التي تُخفى قبلها النون لايشترك اللسان في

---

(٦٢) السابق : ص ١٣٣ .

(٦٣) د.أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي الطبعة الأولى توزيع عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٦ ص٣٣٢ .

(٦٤) السابق : ص ٣٣٤ .

إصدارها . أما ماشرح به كيف يكون الإقلاب ففي جانب منه توقّف ؛ فإنه قال : « تخفي النون مع النطق بما يقرب الميم (!) أو مع النطق بها ميما ، ومع غنة مصاحبة »[٦٥] . والتعبير « بما يقرب الميم » – على عدم وضوحه – متأثر بتحذير بعض **معلمي التجويد** من أن يطبق القارئ شفتيه عند القلب[٦٦] ، وصوت الميم لاينتج بغير إغلاق الشفتين إغلاقاً محكماً .

---

(٦٥) د. عبد الصبور شاهين (مترجم) : علم الأصوات تأليف : برتل مالمرج الفصل الخامس بوصف الأصوات العربية ص ١٢٤ نشر مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٦ .

(٦٦) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف يتلى القرآن ، ص ٦٣ – ٦٤ .
والدكتور علي محمد توفيق النحاس الوجيز ص ١٣ ،
وحسني شيخ عثمان : حول التلاوة ص ١٠٥ .

كان ما انتهيت إليه فيما سبق نتيجة لبحث النظرى فى علمى التجويد والتشكيل الصوتى ، على أن معطيات كلا العلمين فى صورتها النظرية مستمدّة من الملاحظات القائمة على الأداء العملي . وقد أضفت إلى ذلك تجربة معملية استخدمت فيها جهاز السوناجراف Sonagraph سعياً إلى الكشف عن الصورة المشاهدة الناتجة من أداء النون الساكنة المتلوّة بالباء (ظاهرة القلب) بشكلين مختلفين ؛ أحدهما : تُغلق فيه الشفتان إغلاقاً تاماً لنطق الميم وتظلان كذلك الى أن يتم نطق الباء بانفراجهما دفعة ، والآخر : لاتُغلَق فيه الشفتان فى أوّل الأمر ؛ بل تصدر الغُنّة من خلال التجويف الأنفى والشفتان غير مغلقتين ، ولكنهما تُغلقان لانتاج الباء ثم تنفرجان .

وقد كانت الصورتان مختلفتين لكلمة واحدة هي « أنْباء » ؛ إذْ أظهرت صورة الأداء الأول تمثيلاً لصوت صامت Consonant (وهو هنا الميم) يسبقه مايمثّل فتحة الهمزة ، ويتلوه انقطاع يمثل وقفة الصوت الصامت الاحتباسى Stop (وهو هنا الباء) فى حين أظهرت صورة الأداء الآخر تمثيلا يطابق ماينتج من أداء صوت صامت vowel (وهو هنا يمثل أداء الغُنّة والشفتان غير مغلقتين) فى اتصال بغير تميّز بما يمثل فتحة الهمزة ثم يتلوه الانقطاع الذى يمثل وقفة الباء كما فى صورة الأداء الأول .

وبذلك صارت الغُنّة مماثلة لحرف المدّ (الألف) . والصورتان فى نهاية البحث .

وإذْ أثبتت التجربة المعملية وجود خلاف فى نمطى الأداء لظاهرة القلب ؛ أذهب إلى أن الأداء الأول – بإغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً فى أثناء نطق الغُنّة ثم الباء – هو الأداء الصحيح ؛ فذلك ما انتهيت إليه آنفاً ، وأن الأداء الآخر خطأ وأنه هو الذى عناه المدققون من علماء التجويد حين حذّروا من

« المبالغة في إخفاء الحرف بحيث يشبه نقد »[٦٧] ، وعدّوا ذلك من « مبتدعات القرّاء » .

ومن النتيجتين النظرية والعملية أطمئن إلى الحكم بأن الأداء الذي شاع في خلال الأعوام الخمسة الأخيرة بنطق الميم الساكنة قبل الباء بغير إغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً يجب أن يتخلى عنه القراء ، وأن يلتزموا بالأداء الأقدم بناءً على ماقدّمت من أسباب .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٦٧) الشيخ علي محمد الضباع : مبتدعات القراء في قراءة القرآن الكريم ، مجلة « كلية الشريعة » عدد ربيع الأول ١٣٩٨ هـ .

(نقلاً عن د. لبيب السعيد : الجمع الصوتي للقرآن ط ٢ ، دار المعارف ١٩٧٨ ، ص ٢٧٤)

ومن قبل حذّر البنا الدمياطي من المبالغة في الغنّة حتى يتولد منها واو أو ياء ، وعدّه خطأً ولحريماً ، الإتحاف : ص ٢١

والقلب يتمّ معه إخفاء أي : العمل بنطق الصوت الذي يخفى الصفة المضادة ، فإن الصوت المخفى تتخذ معه أعضاء النطق الوضع الذي يُنتج الصوت التالي